النفس والرقص

للكاتب الشاعر الفرنسي بول فاليرى

ترجمة الدكتور طه حسين

- ٤ -

فيـــدر ـ لنستمتع لحظة أخرى فى سذاجة بهذه الاعمال الحسان ! . . . كأنما تقدم(١) الهدايا عن يمين ، عن شمال ، الى أمام ، الى وراء ، الى فوق والى تحت ، من الطيب ومن البخور ومن القبل ، وحياتها نفسها تهديها الى كل مكان فى الكرة والى قطبي الكون .

إنها ترسم وردا وشباكا ، ونجوما من الحركات ، وأسوارا سحرية . . . . انها تب فتجاوز الدائرة التى لا تكاد تغلق . . . انها تب وتجرى فى أثر الاشباح . . انها تجنى زهرة لا تلبث أن تستحيل الى ابتسامة . . . ما أعجب ما تنكر وجودها فى خفة لا تنقضى (٢) ! . . . انها لتضل بين الاصوات ثم يردها الى الهدى خيط ضئيل (٣) . . . هو المزمار المعين الذى أنجاها ! يالعذوبة اللحن ! . . .

سقراط ـ كأن ما حولها ليس الا أشباحا . . . . انها تلد هذه الاشباح وهى تهرب منها ، ولكنها اذا التفتت فجأة تخيل الينا انها تتراءى للآلهة الخالدين ! . . .

فيدر ـ أليست هى روح الأساطير ، وماينفذ من جميع أبواب الحياة !

أركسياك ـ أتظن أنها تعلم من هذا شيئا ؟ أو انها تفاخر بانها تنتج شيئا الا هذه الحركات التى تأتيها حين تغلو فى رفع قدميها ، وهذا التوقيع وهذه الالتواءات التى أتقنتها فى مشقة حين كانت تتعلم الرقص (١)

سقراط — من الحق انا نستطيع ان نلاحظ الامر تحت هذا الضوء الذى لاسبيل الى انكاره . . . . فالعين الهادئة تنظر اليها فى يسر كما تنظر الى مجنونة . هذه المرأة التى اجتثت من اصلها اجتثاثا غريبا ، والتى لاتنفك تنزع نفسها من صورتها (٢) على حين قدجنت اعضاؤها فهى تتنازع الارض والهواء ، وعلى حين يستلقى رأسها فيجر على الارض شعرا مفرقا ، وعلى حين تظهر احدى ساقيها كانها اتخذت مكان الرأس ، وعلى حين تخط اصبعها فى التراب علامات لاأدرى ما هى ! . . . . وبعد ، فلم هذا كله ؟ — يكفى ان تثبت النفس وان تمتنع فاذا هى لاتلاحظ الا ما فى هذا الاضطراب من غرابة تدعو الى الاشمئزاز . . . فلو اردت بانفس لكان كل هذا سخيفا(٣)

اركسياك — واذن فانت تستطيع حسب استعدادك ان تفهم والا تفهم ، وان ترى الشيء جميلا او تراه سخيفا كما تحب وتهوى ؟

سقراط — يجب ان يكون ذلك كذلك . . . .

فيدر — اتريد ان تقول لها العزيز سقراط ان عقلك ينظر الى الرقص كانه شخص غريب يحتقر لغته ويرى اخلاقه شاذة بل مؤذية بل فاحشة كل الفحش .

اركسياك — يخيل الى احيانا ان العقل هو الملكة التى تمتاز بها نفسنا والتى تمنعها من ان تفهم جسمنا باى حال من الاحوال (٤) !

فيدر — أما انا ياسقراط ، فان ملاحظة الرقص تمكننى من ان أتصور اشياء كثيرة ، وأتصور الصلات بين أشياء كثيرة . وهذه الاشياء تصبح فورا فكرتى الخاصة وتكاد تفكر مكان فيدر . واجدضوءا ما كنت قط لاجده فى الخلوة الى نفسى وحدها . ولقد كانت اتكتيه

---

(١) هى الراقصة يشير الى ما تثيره حركاتها الكثيرة الخفيفة المتصلة فى نفسه من الصور والخيالات .

(٢) يريد أن كثرة الحركات وخفتها واتصالها تكاد تمحو شخصها وتلهى الناظرين عنه .

(٣) يريد أن انغام الموسيقى وأصواتها كثيرة مختلفة وان الراقصة تجاريها كلها فتكاد أن تضل بينها لولا أن صوت المزمار يظهر متشابها من حين الى حين فيحقق الوحدة فى الموسيقى والرقص معا .

(١) يريد بهذه الجملة أن يرد الرقص وما يشبهه من أعمال الفن الى أصله الساذج الفيزيقي المادي ليشير الى أن ما يثيره من الصور والخيال والعواطف انما هو فى انفسنا نحن لا فى الفن نفسه . وهذه النكتة هى التى سيدور حولها الحوار منذ الآن .

(٢) يريد أن حركات الرقص تخرجها عن طورها فكأنها قد نزعت من نفسها نزعا .

(٣) يريد أن النفس تستطيع أن تشهد اثر كل مظاهر الفن وان تتلقى أبوابها من كل شيء . فانا هى لا ترى فيه إلا حركات مادية وآلية لا جمال فيها ولا سحر ولا غناء ، واذن فالنفس هى التى تمنح الفن قيمته .

(٤) يريد الصديقان أن ينكرا على سقراط رأيه هذا ، وأن يرضيا بحكم العقل وحده فى الفن ، لأن العقل ليس كل شيء .

منذ حين تخيل الى أنها تصور لى الحب . — اى حب ؟ — لاهذا ولا ذاك ، ولا أى مغامرة سخيفة ! — لم تكن تصور شخص الحبيبة من غير شك ... لم تكن تخيل ، لم تكن تمثل ! كلا . كلا . لم تكن تخترع الخيال ... ولم تكلف ايها الصديقان حين تستطيع ان تتصرف فى الحركة وفى المقدار وهما خير مافى الحقيقة من الحق ؟ .. كانت اذن حقيقة الحب ولكن ماهـذه الحقيقة ؟ ومم هى ؟ وكيف تحديدها او تصورها — ونحن نعلم ان روح الحب إنما هى الفرق الذى لايقهر بين العاشقين ، على حين ان مادة الحب الرقيقة أنما هى اتحاد رغبتهما (١) فيجب اذن ان يلد الرقص بدقة معالمه ، وبجمال وثباته ، وبرقة وفتانه ، هذا الكائن الكلى الذى ليس له جسم ولاوجه ، ولكن له منحاوايا ما ومصائر ، ولكن له حياة وموتا بل ليس هو الاحياة والا موتا ، فان الرغبة اذا نشأت لم تعرف نوما ولاهدنة .

ولهذا تستطيع الراقصة وحدها ان تظهره للعيان بأعمالها الحسان. كلها ياسقراط : كان الحب! ... كانت لعبا وبكا . وتكلفا لاغنا . فيه ، سحر ، سقوط ، منح والمفاجاءات ، ونعم ولا ، وكل هذه الخطى الضائعة فى حزن .. كانت تحتفل بكل اسرار الحضر والمغيب ، وكأنما كانت احيانا تمس الكارثة التى لاتمحى (٢) ... ولكن الآن انظر اليها تقربا الى افروديت (٣) . اليست تظهر فجأة كأنها موجة من موج البحر ؟ طورا أثقل : وطورا أخف من جسمها ، تثب كأنما تفصل عن صخرة ، ثم تسقط فى هدوء ... هى الموج

اركسياك — مهما يكن من شىء فان فيدر يزعم أنها تصور شيئا .

فيدر — ماذا ترى ياسقراط ؟

سقراط — فى أنها تصور شيئا ؟

فيدر — نعم . أترى أنها تصور شيئا ؟

سقراط — لاشىء أى فيدر العزيز . ولكن كل شىء أى اركسياك — تصور الحب كما تصور الحياة نفسها وكما تصور الخواطر والآراء ... الا تشعران بانها خلاصة التحول (١) ؟

فيدر — أى سقراط المليم انك لتعلم أى ثقة ساذجة نادرة قد رشقت بنورك الذى لانظير له منذ عرفتك . لا أسمعك الاصدقتك ، ولا أصدقك الا استمعت بنفسى التى تصدقك . ولكن القول بان رقص اتكتيه لايصور شيئا ولا يكون فوق كل شىء صورة نثرة الحب وظرفه قول لا أكاد أطيق الاستماع له .

سقراط — لم أقل — الى الآن شيئا يبلغ هذه القسوة ! — أيها الصديقان . انى لاأزيد على ان اسألكما ما الرقص ، وكلاكما يظهر علما بالجواب ، ولكنكما تعلمانه على اختلاف بينكما ! أحدكما يقول ان الرقص هو ماهو ، وأنه يحل الى ماترى أعيننا هنا . والآخر يؤكد أنه يصور شيئا ، واذا فليس هو كله فى نفسه وانما هو فى انفسنا فى كل شىء . اما أنا ايها الصديقان فلا أحفظ بشكى كاملا ! .. خواطرى كثيرة ، وليس هذا علامة خير ! ... كثيرة مختلطة ومزدحمة حولى على السواء ...

اركسياك — أتشكو من الثروة !

سقراط — ان الثروة تضطر الى السكون . ولكن رغبتى حركة يا اركسياك ... انا محتاج الآن الى هذه القوة الخفيفة التى تمتاز بها النحلة ، كما تمتاز بها الراقصة ... يحتاج عقلى الى هذه القوة ، وهذه الحركة المرنة اللتين تعلقان الحشرة فوق جماعة الزهر وتجعلانها حكما ناطقا فيما بينهن حيثما من اختلاف . وتقدمانها كما تحب الى هذه أو الى تلك ، الى هذه الوردة البعيدة بعض الشىء وتسمحان لها بأن تمسها أو تتركها أو تمعن فيها ... هى تنأى فجأة عن الزهرة التى فرغت من حبها . ثم تعود اليها اذا أحست الندم لأنها تركت فيها بعض الرحيق الذى مازال ذكراه تتبعها ، ومازال لذته الماضية تنغص عليها طيرانها . أو يحتاج عقلى يافيدر الى هذا التنقل الدقيق الذى يتاح للراقصة ، والذى اذا انسل بين خواطرى أيقظها فى رفق واحدا اثر واحد ، وأخرجها من ظلمة نفسى وأظهرها لضوء عقليكما ، فى خير نظام بين النظم الممكنة ! (٢)

فيدر — تكلم ، تكلم .. انى لأرى النحلة على فمك والراقصة فى نظرتك (٣)

طه حسين

---

(١) يريد أن يجعل للحب روحا ومادة فاما روحه فهى هذه الفروق التى تميز بين العاشقين ، والتى تدفع أحدهما الى حب صاحبه ليكمل به نفسه . وأما مادته فهى هذه الرغبة المشتركة بين الحبيبين فى أن يأتلفا

(٢) كل هذا تصوير لما تشتمل عليه حركات الرقص من رمز للحب وأطواره المختلفة فى أوقات الرجاء واليأس

(٣) تقول الاساطير ان افروديت الاهة الحب قد نشأت من زبد البحر

(١) يريد سقراط أن يعيب صاحبيه لان أحدهما يراها تصور اشياء كثيرة والآخر يراها لاتصور شيئا ويريد سقراط أن يردهما جميعاً الى القصد

(٢) كل هذا تصوير لاشراف العقل على الاشياء المختلفة يلتمس فيها الحق ويستخرجه منها كما تشرف النحلة على جماعة الزهر تلتمس فيها الرحيق

(٣) يريد أن سقراط قد استعد لاستخراج الحق ولتكمل ادوات البحث